

داء . . . يقود إلى الانتحار

د . هشام خالد الحمدان*

القمار داء ظهر في المجتمع الجاهلي ليقعده عن السعي والجد ويجعله ملعب الأهواء والنزوات وقد أزاح الإسلام الستار عن حقيقة هذا الداء فأوضح أن جرثومته الشيطان الذي يتسرب إلى العقول والنفوس فيستبد بها ويحيط بها فتكون الفاجعة.

ومن لجأ إلى القمار عاش في بؤر الرذائل وقد أقبل العصر الحديث يرقل في أثواب الحضارة فدخل الشرق ونشر إعلامه فدخلت معه شياطين المفاصد بحلل فانتة ساحرة فتهافت النفوس الضعيفة عليها تقليداً وكان شيطان القمار في حلل متنوعة فتبعه الكثيرون من مختلف طبقات المجتمع فتصدى لها الأدباء والفقهاء يصدون الغارة ويشنون حملة الإصلاح.

وفي هذا العصر تعددت ضروب القمار واستفحلت أخطاره بعد أن أدخل المقامرون.

أجهزة الحاسوب طرفاً في المقامرة فجذبوا لممارستها أعداداً غفيرة من الشباب والفتيات في بعض دول العالم، وقد ارتبطت المقامرة في المجتمعات البدائية بالسحر والأرواح الشريرة والرعب والخوف من المجهول والاعتقاد بالقوى الخارقة وأصبح الشعور بالضيق والغربة دافعاً لمعرفة البخت وقراءة المستقبل والحظ وتقديم القرابين للأصنام (فالمقامرة وسيلة بشرية للتحكم في المجهول وحلم للسيطرة على المستقبل).

ودخل الكمبيوتر في المقامرة في نوادي القمار العالمية بهدف إنعاش لعبات القمار وتحديها واجتذاب عدد أكبر من المقامرين إليها، وقد بلغ مجموع ما أنفق من أموال عام ١٩٦٠م في بريطانيا للقمار (٥٠) ألف مليون دولار وبلغ عدد المقامرين في بريطانيا ٤٨% من السكان وأنفق ٦٥ مليون جنيه استرليني للإعلانات على القمار وتشمل الإعلانات على سباقات الخيل والكلاب والشطرنج... وغيرها، وتقوم المراهنات عليها بشكل من أشكال المقامرة ويرى بعض الفلاسفة أن المقامرين هم فئة من اللصوص وقطاع الطرق ويرى بعضهم أن المقامر مريض نفسياً ومفلس ذهنياً ومادياً وأنه يستحق العقاب ويعيش المقامرون في حالات من الحقد والبغضاء والحسد والتشاحن وهم في شقاء ونكد لا يمكن أن تجد فيه سعادة فالمقامر يقضي يومه في التفكير بين

الربح والخسارة فإن كان رابحاً عاش في نشوة قليلة وإن كان خاسراً عاش ساعات طوالاً في كمد وحزن وهكذا لا يعيش المقامر لشئ إلا للمقامرة ولا يهتم بواجباته المختلفة والذي يربح لا يهتم كيف ينفق المال الذي ربحه لأنه لم يتعب فيه والذي يخسر تضطره خسارته للانحراف والسرقة والخيانة بهدف تعويض خسارته وكل نتائج المقامرة تنتهي إلى الانحراف الذي يوقع البلاء في المجتمع ويحصد النتائج وعلى رأسها الانتحار.

وتشير معظم الدلائل إلى أن المقامرة كانت في كل العصور مفتاحاً لكل الشرور والمصائب التي تحل بالفرد والأسرة والمجتمع، فهي تنتزع الفرد السوي من حظيرة أسرته ومجتمعه السليم وتدفعه للاختلاس والاستدانة والتزوير والإدمان وممارسة كل الموبقات وأن المراهنات والمقامرات تهدد اقتصاديات البلاد وثروتها البشرية وتعوقها عن التقدم والازدهار ونظراً لخطورتها فقد نظر إليها العلماء بشتى فئاتهم لوضع الحلول ودرء الخطر.

لقد تفشى القمار بين الناس وزرع الدماء في حياة الأسر وشرذ أبناءها وجلب لهم المآسي ووصف أحد الشعراء هذا الداء بالقول:

لكل نقيصة في الناس عار وشر معاييب المرء القمار
هو الداء الذي لا براء منه وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشاد له المنازل شاهقات وفي تشييد ساحته الدمار
نصيب النازلين بها سهاد فإفلاس فيأس فانتحار

وقد رثى لهذه العلة والداء الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي فوصفه أدق وصف وبين شروره وآثامه في كتاب العبرات والنظرات وعن القمار يقول:

ما جلس المقامر إلى مائدة القمار إلا بعد أن استقر في ذهنه أن الدرهم الذي في يده سيتحول بعد هنيهة من الزمن إلى دينار ويعود به إلى أهله فرحاً فإن أضحكه منظر الربح فلم لا يبكيه منظر أصدقائه ورفاقه الخاسرين وهم يتساقطون حواله تساقط

جنود المعركة تحت القذائف المنطلقة.

وأريد أن أقول للذين لم يقدر لهم أن يخطو خطوة واحدة في هذا الطريق الوعر حتى اليوم لا تقربوا القمار لافي الجدولا في الهزل فإن هزل القمار يجر إلى جده ولا تمروا بمعاهد القمار قصداً ولا عفواً فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ولا تصاحبوا المقامرين بحال من الأحوال فإنهم لا يرضون عنكم حتى تتبعوا ملتهم فإن فعلتم خسرتم مالكم وشرفكم وعزتكم وكرامتكم من حيث لا تجدون من رحمة القلوب ورأفتها ما يعوض عليكم ما خسرتم فارحموا أنفسكم واتقوا الله إن كنتم مؤمنين. ويمكن القول إنَّ القمار مرض خطير وظاهرة فتاكة وأشد خطراً من المخدرات والخمور فالإدمان علي القمار داء ومأساة اجتماعية لا يمكن لها الشفاء ويدخل المقامر ساحة القمار وهو إنسان يملك العقل والأخلاق ويخرج منه وقد فقد كل ما يملك.

ويوقع القمار بصاحبه مرض الكآبة والحزن الطويل ويقوده للانتحار لأنه يؤثر في الجهاز العصبي للإنسان ودورته الدموية وإن كثيراً من المقامرين فقدوا حياتهم بذبحات صدرية بعد انهيارهم فيجتمع الألم الجسدي والحسي والنفسي معاً وبعضهم أصيب بالسكتة القلبية وهم علي موائد القمار ويمكن بالتأكيد أن يتحول المقامر إلى مجرم لأن المقامر إنسان فقد كل القيم الأخلاقية.

وأكثر ما ينتشر مرض القمار في صفوف الشباب بعد أن عميت عيونهم عن كل جمال في الحياة واختاروا طرقاً مزروعة بالأشواك وهذه الطرق قادتهم للضياع والتشرد لأنهم ابتعدوا عن التواصل الاجتماعي فوجدوا أنفسهم وحيدين مع لعبة القمار التي تسلب الإنسان ثروته بطريقة غير مشروعة ومحرمة وللإدمان علي القمار أسباب منها:

١ - الفراغ عند الشباب: وهم يمرون بمرحلة المراهقة وهي خطيرة وحساسة في حياتهم وقد يتعرضون بحكم صغر السن وحب المغامرة للانحراف في هذا السلوك الاجتماعي الذي يتطور بدوره إلى الجنوح والعنف والفساد وغير ذلك من أنماط الانحراف كل ذلك نتيجة الفراغ وعدم استغلال الوقت.

٢ - المستوى التعليمي ويشكل أحد العوامل الاجتماعية التي قد تسهم في اتجاه الشباب نحو الانحراف أي يزداد انحراف الشباب كلما كان المستوى التعليمي متدنياً.

٣ - الأسرة تلعب الأسرة دوراً مهماً في حماية أفرادها من الانحراف ولها الدور الأول والأخير في تربية الأبناء تربية سليمة صالحة.

٤ - أصدقاء السوء: للصدقة دور مهم في حياة الشباب فمن صاحب أهل السوء لا بد أن يتأثر بهم ومن سار مع مدمني الخمر

والميسر والمخدرات فسوف يسير في ركابهم وقديماً قال الشاعر طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

ويجب على كل إنسان أن يبتعد عن مرض معد وأن يحصن نفسه ولو كان فرد واحد مصاباً بهذا الداء فمعناه أن الداء ابتلاء ينبغي محاربتة والقضاء عليه للتخلص منه ويحتاج ذلك إلى إرادة قوية والرجوع إلى الدين الإسلامي الحنيف فهو أقوى الأسلحة وأحسن الأدوية لمعالجة هذا المرض الذي يفتك بالبشر.

وقد جاء ذكر القمار في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (سورة المائدة الآية ٩٠).

فالميسر هو قمار العرب بالأزلام والقمار بالتعريف كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً وهو أكل أموال الناس بالباطل، فمن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ وما أكثر العبر وما أقل الاعتبار ولنقف على هذه الآيات الشعرية لأحد الشعراء المعاصرين يصف لاعب القمار وأهله:

ولقد طرقت نديهم في ليلة

متجسساً فنظرت مالم أنظر

شاهدت أكبر أنمل لم تنبسط

ونظرت أوسع أعين لم تبصر

من كل ساهرة الجفون كأنها

تزري بحق المجد إن لم تسهر

هجروا الطعام فلا طعام لديهم

غير المنى من حسرة وتفكر

واخو القمار وإن تزايد كسبه

فإلى الفسوق مصيره والمنكر

وهكذا فإن القمار مرض لا تقل خطورته عن الأمراض الفتاكة وأمراض الإدمان الأخرى.

فهو يفتك بصاحبه نفسياً وجسدياً ويوقعه في أوكار الهلاك ويقوده في أغلب الأحيان إلى الانتحار.

* باحث، دمشق .. الجمهورية العربية السورية